

## بسم الله الرحمن الرحيم

### تابع الحساب

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } . [ آل عمران - 102 ] .

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } . [ النساء - 1 ] .

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ) (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } . [ الأحزاب - 70 ، 71 ] .

أما بعد ...

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

أحبتى فى الله :

نحن اليوم بتوفيق الله جل وعلا على موعد مع اللقاء الخامس عشر من لقاءات هذه السلسلة المنهجية المباركة .

**أخي الحبيب :** تذكر معى أننا قد توقفنا فى اللقاءين الماضيين على التوالى مع قواعد العدل التى يحاسب الله جل وعلا عباده بها يوم القيامة ، ثم تعرفنا على أول أمة يحاسبها الله جل وعلا ، وعلى أول من يقضى الله بينهم يوم القيامة ، وعلى أول ما سيحاسب وما يسأل عنه العبد بين يدي الرب جل وعلا ، ونحن اليوم بإذن الله تعالى لازلنا مع الناس فى ساحة الحساب بين يدي الله سبحانه وتعالى ، فإن الله عز وجل يسأل العبد بعد الصلاة عن أربع :  
 عن عمره فيما أفناه؟! وعن علمه ماذا عمل فيه؟! وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟! وعن جسمه فيما أبلاه؟! هذه الأربع هى موضوع لقاءنا مع حضراتكم فى هذا اليوم الكريم المبارك .

**أحبتى الكرام :** أعيرونى القلوب والأسماع فإن الموضوع من الأهمية بمكان والله أسأل أن يسترنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض .

ولا شك أن الله عز وجل سيسأل العبد فى ساحة الحساب عن كل ما قدم فى هذه الحياة .

قال الله سبحانه : { **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** )  
**(7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** { [ الزلزلة : 7,8 ] .

وقال جل وعلا : { **فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } [ الحجر : 92,93 ] .

فكم من معصية قد كنت  
 نسيتها  
 ذكرك الله إياها

وكم من مصيبة قد كنت  
 أخفيتها  
 أظهرها الله لك وأبداها

ولكن النبى ﷺ قد ذكر أن الله سبحانه سيسأل العبد بعد الصلاة عن أربع كما فى الحديث الصحيح الذى رواه الترمذى والطبرانى فى معجمه والصغير ، والخطيب فى التاريخ ، وصححه شيخنا الألبانى فى السلسلة الصحيحة وصحيح الجامع من حديث عبد الله بن مسعود

رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (( لا تزول قدما عبد يوم  
القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ؟ وعن  
علمه ما عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟  
وعن جسمه فيما أبلاه ؟ )) (1) .

أولاً :السؤال عن العمر

### أحبتى فى الله :

العمر هو البضاعة ، ورأس المال فمن ضاعت بضاعته ، وانتهى  
رأس ماله دون أن يحقق الربح فهو من الخاسرين .  
هل حسبت أن هذا العمر ، وهذه الأيام ، وهذه الشهور وهذه  
السنوات ، التى هى عمرك ، والتى تمضى منك ، وأنت لا تشعر ،  
هل حسبت أن الله لن يسألك عنها ؟!!

قال الله تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ  
إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ }  
[ المؤمنون : 115 -  
116 ] .

وقال سبحانه : { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى(36) أَلَمْ  
يَكُ نُطْفَعًا مِنْ مَنِيٍّ يُُمْتَى(37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى(38)  
فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى(39) أَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ الْمُوتَى }

[ القيامة : 36,40 ]

أليس ذلك بقادر على أن يبعثهم للوقوف بين يديه للسؤال عما  
قدموه وعما فعلوه .. للسؤال عن القليل ، والكثير ، صغير أو كبير ،  
حقير أو عظيم !!

أيها المسلم الأيام تمر والأشهر تجرى وراءها تسحب معها السنين  
، وتجر خلفها الأعمار وتطوى حياة جيل بعد جيل وبعدها سيقف

<sup>1</sup>( ) رواه الترمذى رقم (2419) ، فى صفة القيامة ، باب رقم (1) ، وقال : حسن صحيح ، وصححه  
شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (946) ، وهو فى صحيح الجامع رقم (7299) .

الجميع بين يدي الملك الجليل .  
 العمر يولى ستسأل عن كل ساعة ، عن كل يوم ، عن كل أسبوع ،  
 عن كل سنة ، عن عمرك كله فيما أفنيته .  
 قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : " يا ابن آدم إنما أنت  
 أيام مجموعة فإن مضى يوم مضى بعضك وإن مضى بعضك مضى  
 كلك " .

ولذا كان الحسن رحمه الله يقول : " ما من يوم تطلع فيه  
 الشمس إلا وينادى بلسان الحال ويقول يا ابن آدم أنا خلق جديد  
 وعلى عملك شهيد فإغتنمى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة .  
 وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : " والله ما  
 ندمت على شئ كندمى على يوم طلعت شمسه نقص فيه أجلى ولم  
 يزد فيه عملى " .

العمر هو البضاعة الحقيقية ، والله ما منحنا هذه البضاعة  
 الكريمة للهو واللعب والملذات والشهوات ، والله ما للهو خلقنا بل  
 خلقنا لغاية كريمة ولغاية عظيمة .  
 قال جل وعلا : { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** }  
 [ الذاريات : 56 ] .

هذه هى الغاية التى خلق الله لها الخلق ، والله ما خلقنا الله  
 لنضيع الأعمار أمام المسلسلات ، وأمام المباريات ، وأمام الأفلام ،  
 وأمام هذا العبث واللهو الذى تحول فى حياة هذه الأمة المسكينة  
 إلى جد .

ومن أجمل ما قيل فى قول الله تعالى فى حق نبي الله يحيى {  
**وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** } [ مريم : 12 ] .

قال جمهور المفسرين أى أتاه الله الحكمة وهو طفل صغير  
 فذهب إليه يوماً بعض أتراه من زملائه قبل أن يوحى الله إليه  
 بالنبوة فقالوا : يا يحيى هيا بنا لنلعب ! فقال يحيى : والله ما للعب  
 خلقنا والله ما للهو والعبث خلقنا .

والله ما خلقنا لنضيع الأعمار ، فإن جُلَّ الأمة الآن يقضى جُلَّ

الليل أمام التلفاز ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .  
يا من يمضى عمرك وأنت لا تدري .. اعلم بأنك ستسأل عن هذه  
الساعات .. ستسأل عن هذا العمر ..

وتذكر يا من يمضى عمرك وأنت فى غفلة أن الدنيا مهما طال  
فهى قصيرة ، ومهما عظمت فهى حقيرة وأن الليل مهما طال لابد  
من طلوع الفجر ، وأن العمر مهما طال لابد من دخول القبر ، تذكر  
وصية الحبيب ﷺ لعبد الله بن عمر كما فى صحيح البخارى أنه ﷺ أخذ  
بمنكبي عبد الله بن عمر وقال يا عبد الله: (( **كن فى الدنيا كأنك  
غريب أو عابر سبيل** ))<sup>(1)</sup> .

ما أحوجنا ورب الكعبة لهذه الكلمات ، ونحن نعيش الآن عصراً  
طغى فيه حب الشهوات وحب الملزات وحب الدنيا ، فإن كثيراً من  
الناس يُذَكَّر بقول الله فلا يتذكر !! ، ويُذَكَّر بحديث رسول الله فلا  
يتحرك قلبه وكأن القلوب تحولت إلى حجارة !!

قال الله تعالى : { **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ  
كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ  
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا  
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** } [ البقرة : 74 ]

وقال الله تعالى : { **لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ  
خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ  
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** } [ الحشر : 21 ] .

اللهم ارزقنا التفكير فى آلائك ونعمك برحمتك يا أرحم الراحمين

وكان ابن عمر يقول : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا

أصبحت فلا تنتظر المساء " .

قيل لإبراهيم بن أدهم طيب الله ثراه ، يا إبراهيم : كيف وجدت

الزهد فى الدنيا ؟!

فقال إبراهيم : بثلاثة أشياء ، قيل : وما هى ؟!

<sup>(1)</sup> رواه البخارى رقم (11/192) ، فى الرقاق ، باب قول النبى ﷺ (( ﷺ ﷺ ﷺ ﷺ )) .

قال إبراهيم : رأيت القبر موحشاً وليس معى مؤنس ، ورأيت الطريق طويلاً وليس معى زاد ، ورأيت جبار السموات والأرض قاضياً وليس معى من يدافع عنى .

**أيها الأحبة الكرام :** الدنيا كلها إلى زوال والعمر كله إلى فناء ، ويوم أن نام السلطان الفاتح محمد بن ملك شاه على فراش الموت ، وكان من السلاطين الأثرياء الأغنياء قال : اعرضوا عَلَيَّ كل ما أملك من الجوارى والغلمان ، والنساء ، والأموال ، والجواهر بل ، وليخرج الجند جميعاً ، فخرج الجيش عن بَكْرَةَ أبيه ، فنظر السلطان إلى هذا الملك العظيم وبكى وقال : والله لو قَبِلَ منى ملك الموت كل هذا لافتديت به !!

ثم نظر إلى جنوده وقال : أما هؤلاء والله لا يستطيعوا أن يزيدوا فى عمرى ساعة ثم أجهش بالبكاء وقال : { مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيَهْ } (28) هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ { [ الحاقة : 28 - 29 ] .

وهذا أخوه هارون الرشيد الذى كان يخاطب السحابة فى كبد السماء ، ويقول لها : أيتها السحابة فى أى مكان شئت أمطرى فسوف يحمل إلى خراجك إن شاء الله تعالى .

لما نام على فراش الموت بكى هارون وقال لإخوانه : أريد أن أرى قبرى الذى سأدفن فيه !!

فحملوه إلى قبره ، فنظر هارون إلى قبره وبكى ورفع رأسه إلى السماء : وقال يا مَنْ لا يزول مُلكه ارحم من زال ملكه .

واذكر ذنوبك وابكها يا	دع عنك ما قد فات فى زمـ،
مذنبُ	الصبا
بل أثبتاه وأنت لاهٍ تلعبُ	لم ينسه الملكان حين
	نسيته
ستردها بالرغم منك	والروح منك وديعة
وتُسلبُ	أودعتها
داؤ حقيقتها متاعٌ يذهبُ	وغرور دنياك التى تَسْعَى
	لها

الليل فاعلم والنهار أنفاسنا فيها تُعَدُّ

وُحَسِبُ

كلاهما

{ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ }  
**(115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ  
 الْكَرِيمِ** { المؤمنون : 115، 116 ]  
**أخى الكريم :**

لن تتحرك قدمك يوم القيامة حتى تسأل عن عمرك .  
 انتبه يا من تغافلت عن هذه البضاعة ورأس المال الحقيقى الذى  
 تملكه ألا وهو عمرك ، واعلم يقينا أن كل يوم يمر عليك يبعدك عن  
 الدنيا يوما ويقربك من الآخرة يوماً .

قال لقمان الحكيم لولده : أى بُنَى إنك من يوم أن نزلت إلى  
 الدنيا استديرت الدنيا واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقبل عليها  
 أقرب من دار تبتعد عنها .

ولقى الفضيل بن عياض رجلاً فقال الفضيل : كم عمرك ؟!  
 قال الرجل : ستون سنة ، قال الفضيل : إذا أنت منذ ستين سنة  
 تسير إلى الله يوشك أن تصل .

فقال الرجل : إنا لله وإنا إليه راجعون .

قال الفضيل : هل عرفت معناها ، قال : نعم عرفت أنى لله عبد  
 وأنى إلى الله راجع .

قال الفضيل : يا أخى من عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع ، عرف  
 أنه موقوف بين يديه ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول ، ومن  
 عرف أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً .

فبكى الرجل وقال : يا فضيل وما الحيلة ؟! قال الفضيل : يسيرة

، قال : ما هى يرحمك الله ، قال : أن تتقى الله فيما بقى من  
 عمرك يغفر الله لك ما قد مضى ، وما قد بقى من عمرك .

ثانياً : عن علمه ماذا عمل به ؟!

اعلم يقينا أنك ستسأل عن كل كلمة استمعت إليها فى خطبة  
جمعة ، أو محاضرة أو قرأتها فى كتاب ، ستسأل عن علمك الذى  
تعلمت ، ماذا عملت به ؟؟ ترى منذ متى ونحن نسمع عن الله ؟!  
ترى منذ متى ونحن نسمع عن رسول الله ؟! ومع ذلك سترى البون  
شاسعاً بين القول والعمل ، سترى فجوة خطيرة بين القول ،  
والعمل ، وهذه الفجوة سبب من أسباب النفاق ، قال تعالى : {  
**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا  
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** } [ الصف : 2,3 ] .  
وقال جل وعلا : { **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ  
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** } [ البقرة : 44 ] .  
أسأل الله أن يرزقنا الصدق ، والإخلاص فى القول ، والعمل .  
**أيها الأحبة الكرام :** العلم أغلى ما يطلب فى هذه الحياة بلا  
شك ، ولا نزاع فلا سبيل إلى معرفة الله ، ولا سبيل إلى الوصول  
إلى رضوان الله فى الدنيا والآخرة إلا بالعلم الشرعى ، العلم يبذل  
له المال ، العلم يبذل له العمر ، العلم يبذل له الوقت كله ، فإن  
أغلى ما يضحى له هو العلم ، ولم يأمر الله نبيه بطلب الزيادة من  
شئ إلا من العلم ، كما قال تعالى أمراً نبيه المصطفى ﷺ : { **وَقُلْ  
رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا** } [ طه : 114 ] .  
ثم قال { **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** } [ فاطر :  
[ 28 ]

ثم قال تعالى : { **يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ** } [ المجادلة : 11 ] .  
ثم قال سبحانه : { **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ  
وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** }  
[ آل عمران : 18 ] .

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال : ((  
**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً** - قال ابن حجر فى الفتح : أى  
محواً من الصدور- **ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبض**

**العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً - وفى لفظ رؤساء جهالا - فسئلوا فأفتوا بغير علم فصلُّوا وأصلُّوا** ((<sup>(1)</sup>).

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : (( **من يرد الله به خيراً يفقه فى الدين** ))<sup>(2)</sup>.

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لعلى : (( **لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النعم** ))<sup>(3)</sup>.

وفى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وغيرهم وحسنه شيخنا الألبانى بشواهد من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : (( **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له كل من فى السموات والأرض حتى الحيتان فى الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً أو درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر** ))<sup>(4)</sup>.

من أتاه الله العلم أتاه الحظ الوافر ، وأتاه الخير كله ، فإن الله يعطى الدنيا من يحب ، ومن لم يحب ، ولكن الله لا يعطى الدين إلا لمن يحب ، ومن يرد الله به خيراً يفقه فى الدين ، قال ﷺ كما فى صحيح مسلم وغيره : (( **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** ))

<sup>(1)</sup> رواه البخارى (1/174) ، فى العلم ، باب كيف يقبض العلم ، ومسلم رقم (2673) ، فى العلم ، باب رفع العلم وقبضه ، والترمذى رقم (2654) ، فى العلم ، باب ما جاء فى ذهاب العلم .

<sup>(2)</sup> رواه البخارى رقم (3116) ، الجهاد ، باب قول الله تعالى { **فإن لله خمسته وللرسول** } ، ومسلم رقم (1027) ، فى الإمارة ، باب فضل الرمى .

<sup>(3)</sup> رواه البخارى رقم (3701) فى فضائل أصحاب النبى ﷺ ، باب فضل الرمى .

<sup>(4)</sup> رواه أبو داود رقم (3641,3642) ، فى العلم ، باب الحث على طلب العلم ، والترمذى رقم (2683,2684) ، فى العلم ، باب ما جاء فى فضل الفقه على العبادة ، وهو فى صحيح الجامع حديث رقم (6297) .

(1)

هذا العلم إن لم يحرك قلبك وجوارحك للعمل ، ولخشية الله  
وتقواه فلا خير فيه ، ولا بركة له .  
ما ثمرة العلم إن لم يورثك العمل؟! ما ثمرة العلم إن لم يقر بنا  
من الله سبحانه وتعالى؟!  
ما ثمرة هذه المحاضرات والخطب والكلمات التي تخلع القلوب  
إن لم تعبد القلوب لرب الأرض والسموات؟!  
إن لم يورثنا هذا العلم خشية الله .. إذا لم يورثنا هذا العلم تقوى  
القلوب .  
إن لم يورثنا هذا العلم حُب السنة وُبُغض البدعة فما ثمرة هذا  
العلم؟!  
يقول الإمام الشاطبي في كتابه القيم الموافقات :  
" إن كل علم لا يفيد عملا ليس في الشرع ما يدل على  
استحسانه "

قال تعالى : { **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ  
وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** } [ البقرة : 44 ] .  
وفي الصحيحين من حديث اسامة بن زيد ان النبي ﷺ قال : ((  
**يؤتى بالرجل فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه** ) أي  
**أمعاهه** ) ، **فيدور بها كما يدور الحمار في الرحي فيجتمع  
إليه أهل النار فيقولون يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر  
بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى كنت أمر  
بالمعروف  
ولا أتبه وأنهى عن المنكر وأتبه** )) (2) .

لذا كان الحبيب المصطفى ﷺ يستعيز من علم لا ينفع كما في  
صحيح مسلم وسنن الترمذي من حديث زيد بن الأرقم أن النبي ﷺ

<sup>1</sup> () رواه مسلم رقم (1631) ، في الوصية في باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ، وأبو داود  
رقم (2880) ، في الوصايا ، باب ما جاء في الصدقة عن الميت ، والترمذي رقم (1376) في الأحكام ،  
باب في الوقف ، والنسائي (6/251) ، في الوصايا ، باب فضل الصدقة عن الميت .  
<sup>2</sup> () رواه البخاري (6/238) ، في بدء الخلق ، باب صفة النار ، ومسلم رقم (2989) ، في الزهد ، باب  
عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله .

كان يقول فى دعائه (( ... اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها ))<sup>(1)</sup> .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : " إبنى أخاف أن يقال لى يوم القيامة أعلمت أم جهلت ؟ فأقول : علمت فلا تبقى أية آمرة أو زاجرة إلا جاءتنى تسألنى فريضتها فتقول الآمرة : هل أتمرت ؟ وتقول الزاجرة : هل ازدجرت ؟ "

ليس العلم بكثرة الرواية ، ولكن العلم الحقيقى هو الذى يورثك خشية الله هو الذى يورثك العمل .

وكان على بن أبى طالب يقول : " يا حملة العلم اعملوا به فإن العالم من علم ثم عمل ، ووافق علمه عمله ، وسيأتى أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف علمهم عملهم ، وتخالف سيرتهم علانيتهم يقعدون جلفاء يباهى بعضهم بعضاً ، حتى إن أحدهم ليغضب على جلسه إن تركه ، وجلس إلى غيره ، أولئك لا ترفع أعمالهم تلك إلى الله عز وجل . "

إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً صواباً ، لذا قال مالك بن دينار : " إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا " ، اللهم ارزقنا الصدق والإخلاص فى القول والعلم ، وقال ابن السماك :

كم من مُذَكَّرٍ لله وهو ناس لله !!

وكم من مُخَوَّفٍ من الله وهو جرئ على الله !!

وكم من مُقَرَّبٍ إلى الله وهو بعيد عن الله !!

وكم من تالى لكتاب الله وهو منسلخ عن آيات الله !!

فأنت ترى كما هائلاً من المحاضرات ، والدروس ، وترى كما هائلاً

من المراجع ، والمجلدات ، والكتب ، ومع ذلك ترى بونا شاسعا

وفرقا كبيرا بين هذا المنهج النظرى وبين هذا الواقع العملى .

<sup>1</sup> ( ) رواه مسلم رقم (2722) ، فى الذكر والدعاء ، باب التعوذ من شر ما عمل ، ورواه الترمذى رقم (3478) ، فى الدعوات ، باب رقم (69) ، والنسائى (8/255) ، فى الإستعاذة ، باب الاستعاذة من قلب لا يخشع .

إن هذه الفجوة تبرز بذور النفاق فى القلوب كما قال علام  
الغيوب : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ }  
2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ {  
[ الصف : 2,3 ] .

لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمله ماذا عمل به  
!؟

### ثالثاً : عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟!

المال نعمة من أعظم النعم ، المال زينة الحياة الدنيا مع الأولاد .  
قال جل وعلا { الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [ الكهف  
46:]

ولاحظ أن الله قدم فى هذه الآية المال على الأولاد ، المال زينة  
ونعمة عظيمة ، ولكن لا يعرف قدر هذه النعمة إلا من عرف الغاية  
من المال ، فما أكرمها من نعمة إن حركتها أيدى الصالحين ،  
والشرفاء .

المال نعمة لا يعرف قدرها إلا صالح تقى عرف الغاية من المال ،  
وعرف الوظيفة الحقيقية للمال ، وعرف أن المال ظل زائل وعارية  
مسترجعة .

المال نعمة من الله مَنَّ بها عليك ، وزينة رَبِّكَ الله بها .  
ولكن انتبه سوف تُسأل عن هذا المال كله من أين اكتسبت ؟!  
وفيما أنفقت ؟! سؤالان يملأن القلب بالخوف والوجل ويجعلان العبد  
يسأل نفسه ألف مرة قبل أن يحصل على هذا المال .  
يا من تتاجر فى الحرام ، فى المخدرات لتحرق قلوب فلذة أكبادنا  
ولا هم لك إلا أن تجمع المال ، حاسب نفسك الآن وقف مع نفسك  
موقف صدق ، من الآن طَهَّرْ مالك كله قبل أن تُسأل بين يدي الله  
الذى يعلم السر وأخفى ، عن كل ما جمعت من مال ؟ من أين لك  
هذا المال ؟ وفيما أنفقته ؟؟

فالمال نعمة إذا حركته أيدي الصالحين والشرفاء ، المال منحة لمؤمن تقى عرف الغاية منه ، وعرف الوظيفة لهذا المال ، لذا يقول سيد الرجال ؑ كما فى الصحيحين : (( لا حسد إلا فى اثنتين رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أعطاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار )) (1)

وتدبر معى أخى الكريم قول الحبيب والحديث رواه أحمد والترمذى وصححه شيخنا الألبانى من حديث أبى كبشة الأمارى عنه ؑ قال : ((ثلاثة أقسم الله عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ، وما ظلم عبد مظلمةً فصبر عليها إلا زاده الله عز وجل بها عزاً ولا فتح عبد باب مسألةٍ إلا فتح الله عليه باب فقر وأحدثكم حديثاً فاحفظوه إنما هذه الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فى ماله ربه ويصل به رحمه ، ويعلم لله فيه حقاً فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً ، فهو صادق النية لله يقول لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً فهو يخبط فى ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ولا يصل به رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقاً فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان ، فهو بنيته ووزرهما سواء )) (2) .

إن المال لا يصبح نعمة إلا إذا كان فى يد صالحة تعرف الغاية منه والمال الذى سنتركه ليس مالاً لنا وإنما هو مال ورثتنا كما فى صحيح البخارى من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال قال ؑ : ((

<sup>1</sup> () رواه البخارى (9/65) ، فى فضائل القرآن ، باب اعتبار أصحاب القرآن ، ومسلم رقم (815) ، فى صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، والترمذى رقم (1937) ، فى البر والصلة ، باب ما جاء فى الحسد .

<sup>2</sup> () رواه مسلم رقم (2588) ، فى البر والصلة ، ورواه الترمذى واللفظ له رقم (2326) ، فى الزهد ، باب جاء أن مثل الدنيا مثل أربعة نفر ، ورواه أيضاً الإمام أحمد فى المسند (4/230,231) ، وابن ماجه ، فى الزهد رقم (4228) .

**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله** )) قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا وماله أحب إليه من ماله وارثه ، قال : **(( فإن ماله ما قدم ومال ورثته ما آخر ))** (1) .

لذا يقول المصطفى ﷺ كما فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة رضى الله عنه : **(( يقول العبد : مالى مالى ، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو اعطى فأقنى ، وما سوى ذلك ، فهو ذاهب وتاركه للناس ))** (2) .  
ولذا ورد فى سنن الترمذى أن عائشة رضى الله عنها ذبحت شاة وتصدقت بها كلها إلا الذراع فقال النبى ﷺ : **(( ما بقى من الشاة يا عائشة؟ ))** قالت : ما بقى منها شئ إلا الذراع ، فقال المصطفى ﷺ : **(( بقى كلها إلا الذراع ))** (3) .

إن الذى تصدقت به هو الذى سيبقى لك فى ميزان أعمالك يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .  
واسمع لحبيبك المصطفى ﷺ وهو يقول كما فى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة قال : **(( أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيب وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } [المؤمنون : 51]**  
وقال تعالى للمؤمنين : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }** [البقرة : 172] ، وقال : **{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا }** [المؤمنون : 51] ، وقال : **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ }** [البقرة : 172] ، ثم ذكر (( الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدُّ يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام - وفى رواية (وملبسه حرام) - وعُدَى بالحرام فأنى

(1) رواه البخارى رقم (6442) ، فى الرقاق ، باب ما قدم من ماله فهو له ، ورواه الإمام أحمد فى المسند رقم (3626) .

(2) رواه مسلم رقم (2959) ، فى الزهد ، باب الزهد .

(3) رواه الترمذى رقم (2472) ، فى صفة القيامة ، باب رقم (34) ، وقال : هذا حديث صحيح .

**يُسْتَجَابُ لِدَلِكِ** (( (4) .

أنى يستجاب لمن أكل الحرام ، أنى يستجاب لمن شرب الحرام أنى يستجاب لمن  
غذى أولاده بالحرام ، إننا نرى الآن تهاوناً مروعاً فى الأكل الطيب الحلال فنرى الرجل  
لا هم له إلا جمع المال ، من أى سبيل كان حتى لو كان حرام حتى لو كان من الربا  
حتى لو كان من أموال الناس بالباطل المهم ان يكتنز المال ، ومع ذلك فوالله لن  
يخرج من الدنيا بدرهم أو دولار

والفقر خير من غناً يطغيها فجميع ما فى الأرض لا يكفيها ملكا لو لم تكن لك إلا راحة البدن هل راح منها بغير الطيب والكفن	النفوس تجزع أن تكون فقيرة وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت هى القناعة فالزمها تكن وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها
---	--

لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه

؟

**رابعاً : عن جسمه فيما أبلاه**

قال تعالى : { **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ  
عَنْهُ مَسْئُولاً** } [ الإسراء : 36 ] .

سيسأل الفؤاد والقلب عما وعاه من اعتقاد ، هل امتلأ القلب  
بحب الله وبحب رسول الله والمؤمنين وامتلاً فى الوقت ذاته  
ببغض الشرك والمشركين والباطل والمبطلين؟! سيسأل السمع  
عن كل ما سمع سيسأل البصر عن كل ما رأى ، فهل يا ترى لا يسأل  
العبد بين يدي الرب سبحانه إلا عن هذه الجوارح فحسب ..؟ كلا بل  
سيسأل الإنسان عن جسمه كله .

سيسشهد هذا الجسم كله بما قدم وبما صنع وبما فعل سيسشهد  
السمع والبصر والفؤاء ستشهد الرجل واليد والجوارح عامة قال

(4) رواه مسلم رقم (1015) ، فى الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها ، والترمذى  
رقم (2992) ، فى التفسير ، باب ومن سورة البقرة .

تعالى : { **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** }  
[ يس : 65 ] .

وقال الله جل وعلا { **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20) وَقَالُوا لِمَ لُجُودِنَا لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** }  
[ فصلت : 19 - 21 ] .

سيشهد عليك بدنك كله وسوف تسأل عن هذا البدن وعن هذا الجسم فيما أبلتته ، هل أبلت جسمك فى عمل الدنيا والآخرة أم فى عمل الدنيا فحسب ؟

فلا حرج أن يبلى الإنسان جسمه فى عمل الدنيا وفى عمل الآخرة ، والخطأ والحرص أن يفنى وأن يبلى جسمه كله وحياته كلها فى عمل الدنيا ليضيع بذلك حق الله وعمل الآخرة ، يأخى فى الله تاجر وعمر وابنى واجمع المال من الحلال لكن لا تنسى حق الكبير المتعال لا تنسى الآخرة . اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، فلا حرج أن تجمع بين الأمرين . قال المصطفى ﷺ (( **اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمت أمرى وأصلح لى دنيائى التى فيها معاشى** )) (1) .

فلا تجعل عمرك جله للدنيا وتنسى الآخرة ، ستتمنى يوم القيامة الرجعة والعودة إلى الدنيا لا لتعمل للدنيا مرة أخرى بل لتعمل للآخرة ، قال تعالى : { **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (98) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ** }  
[ المؤمنون : 97 - 100 ] .

<sup>1</sup> ( ) رواه مسلم رقم (2721) فى الذكر ، باب التعوذ من شر ما عمل ، وهو فى صحيح الجامع رقم (1263) .

كلا .. فاعمل الآن للدنيا وللآخرة قبل أن تتمنى الرجعة والعودة  
فيقال لك : { **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا** } [ المؤمنون : 100 ] .

لا يسمعها الله ولا يجيبها الله ، واعلم يقيناً أنه والله لو أفنيت  
جسمك كله ليلاً ونهاراً من أجل الدنيا ونسيت عمل الآخرة والله لن  
تحصل من الدنيا إلا ما قدره الرزاق لك ، تدبر هذا الحديث الجميل  
الذى رواه الترمذى وغيره وصحح الحديث الشيخ الألبانى فى صحيح  
الجامع أنه صلى الله عليه وسلم قال : (( **من كانت الآخرة همه  
جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا  
وهى راغبة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين  
عينيه وفرق عليه شمله ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر الله  
له** )) (1) .

أخى الحبيب سل نفسك الآن فيما أبلت جسمك فى عمل الدنيا  
والآخرة أم فى عمل الدنيا ؟  
هل أبلت جسمك فى طاعة الله ورسوله أم فى معصية الله  
ورسوله ؟  
سل نفسك الآن فيما مضى من عمرك هل سَخَّرت جسمك فى  
طاعة الله ورسوله أم سخرته فى معصية الله ورسوله ؟  
هل أعطاك الله نعمة هذا الجسم لنعصى الله بها أم لتطيع الله  
بها ؟

واعلم يقيناً أن المعصية سبب لكل شقاء وذنك وبلاء فى الدنيا  
والآخرة والطاعة سبب لكل فلاح وفوز وخير فى الدنيا والآخرة .  
قال ابن عباس : " إن للطاعة نوراً فى الوجه ونوراً فى القلب  
وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق ، وإن  
للمعصية سواد فى الوجه وظلمة فى القلب وضيق فى الرزق  
وضعف فى البدن وبغضاً فى القلوب " .

وذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم طيب الله ثراه فقال له يا  
إبراهيم : ساعدنى فى البعد عن معصية الله ، كيف أترك معصية

<sup>1</sup> ( ) صححه شيخنا الألبانى فى الصحيحة رقم (949) وقال أخرجه الترمذى (2/76) .

الله جل وعلا ؟ فقال له إبراهيم تذكر خمسا فإن عملت بها لن تقع فى معصية الله وإن زلت قدمك سرعان ما ستتوب إلى الله جل وعلا ، قال : هاتيها يا إبراهيم قال إبراهيم : أما الأولى إن أردت أن تعصى الله جل وعلا فلا تأكل من رزق الله .

قال : كيف ذلك والأرزاق كلها بيد الله ؟

قال : فهل يجدر بك أن تعصى الله وأنت تأكل من رزقه .

قال يرحمك الله يا إبراهيم : هات الثانية .

قال إبراهيم : أما الثانية إن أردت أن تعصى الله جل وعلا فابحث

عن مكان ليس فى ملك الله واعصى الله عليه .

قال : كيف ذلك والملك ملكه والأرض ملكه والسماء ملكه ؟!

قال : ألا تستحى أن تعصى الملك فى ملكه .

قال يرحمك الله هات الثالثة .

قال : أما الثالثة إن أردت أن تعصى الله جل وعلا فابحث عن

مكان لا يراك الله فيه .

قال : وكيف ذلك والله يسمع ويرى ؟!

قال ألا تستحى أن تعصى الله وأنت على يقين أن يراك الله .

قال : يرحمك الله هات الرابعة .

قال : إذا جاءك ملك الموت فقل له أجلى ساعة حتى أتوب إلى

الله وأدخل فى طاعته .

قال : كيف ذلك يا إبراهيم ؟! والله جل وعلا يقول : { فَإِذَا

جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [ الأعراف : 34 ] .

قال : فهل يجدر بك وأنت تعلم ذلك أن تسوف التوبة وعمل

الطاعات

قال : يرحمك الله هات الخامسة .

قال : أما الخامسة إذا جاءتك زبانية جهنم لتأخذك إلى جهنم

فإياك أن تذهب معهم ، فبكى الرجل وعاهد الله عز وجل على

الطاعة .

أيها المسلم فكر فى هذه الخمس جيداً قبل أن تعصى الله ،  
واعلم يقينا أنك بشر فإن زلت قدمك فى معصية الله جدد الأوبة  
والتوبة إلى الله واعلم جيداً أن الله يحب التوابين والملتطهرين وما  
من ليلة إلا والملك ينزل إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بكماله وجلاله  
كما فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وينادى الحق سبحانه  
وتعالى ويقول : (( أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذى يدعونى  
فأستجيب له ، من ذا الذى يسألنى فأعطيه ، من ذا الذى  
يستغفرنى فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضىء الفجر ))  
(1)

فهيأ أخى الحبيب عُد إلى الله وتب إلى الله واستعد للجواب عن  
هذه الأسئلة الأربعة ، واعلم علم اليقين أنه لا تزول قدما عبد يوم  
القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه ؟ وعن علمه ماذا  
عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعن جسمه فيما  
أبلاه ؟!  
أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يحسن خاتمتنا . إنه  
ولى ذلك والقادر عليه .

..... الدعاء

<sup>1</sup>( ) رواه البخارى رقم (1145) فى التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ، ومسلم رقم (758) فى صلاة المسافرين ، باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل ، والموطأ (1/214) فى القرآن ، والترمذى رقم (3493) فى الدعوات ، وأبو داود رقم (1315) فى الصلاة .